يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يـــا احبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ
وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
السنة الثالثة شعبان ١٤٤٦هـ شباط ٢٠٢٦م العدد(١٠)

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٤/ ٨١٦٥
Date التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
السنة الثالثة شعبان ١٤٤٦هـ شباط ٢٠٢٦م العدد(١٠)
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة حمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية
السنة الثالثة شعبان ١٤٤٦هـ شباط ٢٠٢٦م العدد(١٠)
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (١٠) شعبان ١٤٤٧هـ شباط ٢٠٢٦م المجلد الاول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	واقع المرأة المسلمة بين المرجعية الدينية والعولمة مقاربة سوسيولوجية	أ.م.د. كمال الدين سعدون	٨
٢	مذبحة فاسي ودور الملكة كاثرين دي ميديتشي فيها عام ١٥٦٢	م.د. ماجد عجيمي سليم	٢٠
٣	التغيرات الصرفية في اللغة الإعلامية دراسة مقارنة مع النصوص الأدبية والأكاديمية	م.م أسيل سعد فاضل م.م عمر ساجد حسن	٣٢
٤	منهج المزي وموارده في كتاب تهذيب الكمال	م.م وديان هيثم داود	٤٦
٥	قاعدة التسامح في أدلة السننعند السيد السيستاني وتطبيقاتها الفقهية	أ . م . د محمد فرحان عبيد	٥٦
٦	جماليات التشكيل الإيقاعي في مخمسة ابن زمْرك الأندلسي	م.د. كوفان حسين صالح	٧٦
٧	فلسفة اللغة عند مارتن هيدجر	م. د. مها نادر عبد محسن	٨٤
٨	إستراتيجيات توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي التربوي إستراتيجيات توظيف والمهكا غظلا صطناعي في الجاملحث العلمي التربوي	م. د. مطلك موسى سلمان	٩٤
٩	قرضُ المَنفعة بين الحكم الشرعي ومتطلبات العصردراسة مقارنة من وجهة نظر مدرسي الجامعات	م.د. نذير رزوقي مصطفى	١١٠
١٠	الاستقلال في الرواية العربيَّة دراسة ما بعد كولونياليَّة	م. د. هبة الله علي عبد الحسين	١٢٦
١١	مفهوم اللغة عند اوغسطين	م.د. مرفت طاهر كوكز	١٣٦
١٢	المباحث العقدية عند الشيخ محسن الاصفهاني في تفسير دافع البلية من الآية (٢٣) إلى الآية (٦٥) من سورة البقرة	الباحثة: آلاء فاضل داخل أ.د. إقبال وافي نجم	١٤٦
١٣	تأثير عدد البدائل في فقرات مقاييس الشخصية على استبقاء العوامل الكامنة باستخدام التحليل العاملي الاستكشافي	الباحث: كرار علي حسين أ. د. ياسين حميد عيال	١٦٤
١٤	المقاطعات اللبنانية في ظل الحكم المصري ١٨٣٢-١٨٤٠ (مقال مراجعة)	م. م. لقاء سامي سعيد	١٨٤
١٥	السيدة زينب الأنموذج الأمثل للمرأة المقاومة دراسة وصفية لسيرتها عليها السلام	الباحث: جبار ناصر يوسف	١٩٢
١٦	A pragmatic Study of Hinting Strategies in selected American Political TV Interviews	Hala Saad Mahmood	٢٠٢
١٧	مشكلة المعنى في النقد الحديث«مقال مراجعة»	م. م. أنسام أركان حريز	٢٣٢
١٨	سيرة السفراء الأربعة في النهضة الحسينية	م. م. أيسر عبد علي ناموس	٢٣٦
١٩	صعوبات استعمال تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم الجامعي	م.م. محمد عبد العزيز محمد م. م. علي عاجب عبد الله	٢٤٨
٢٠	إثر استراتيجيتي التسريع الابداعي في تحصيل طلاب الصف الأول متوسط في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي	الباحث: محمد ذياب محمد	٢٦٠
٢١	عمل المرأة في فقه الموازنات	الباحثة: غسق هشام علي	٢٧٤
٢٢	خير الدين التونسي والقضاء على الفقر في ضوء كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك	م. م. هديل داود نجم أ. د. محمود صالح سعيد	٢٨٨
٢٣	التفسير العرفاني في تفسير دافع البليّة	ريام قاسم عبد الأمير هاشم أ.د: محمد علي هويي	٣٠٠
٢٤	عقيدة الشفاعة في المسيحية والاسلام(دراسة مقارنة)	م.م. جبار صدام مهودر	٣١٨
٢٥	التضعيف ودلالته في المعاجم العربية	أ.م. د. رشأ طه محمود	٣٣٠
٢٦	السياسة الجنائية في مواجهة تهريب الاموال في القانون العراقي	اسماعيل آقابابائي بني الباحث: محمد كامل احمد	٣٥٢
٢٧	A Stylistic Analysis of Hyponymy in Selected English Drama	Khuloud Waleed Majeed Mahmood	٣٧٤
٢٨	استعمال الهندسة الذاتية الرقمية لتعديل سلوك المتعلمين «مقال»	م.م نور احسان علي حيدر	٣٨٤
٢٩	أثر استراتيجية انكي في تحصيل طالبات الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ	م. باسم ناصر شليش م. د.دعاء عبد الخالق عبد الامير	٣٨٨

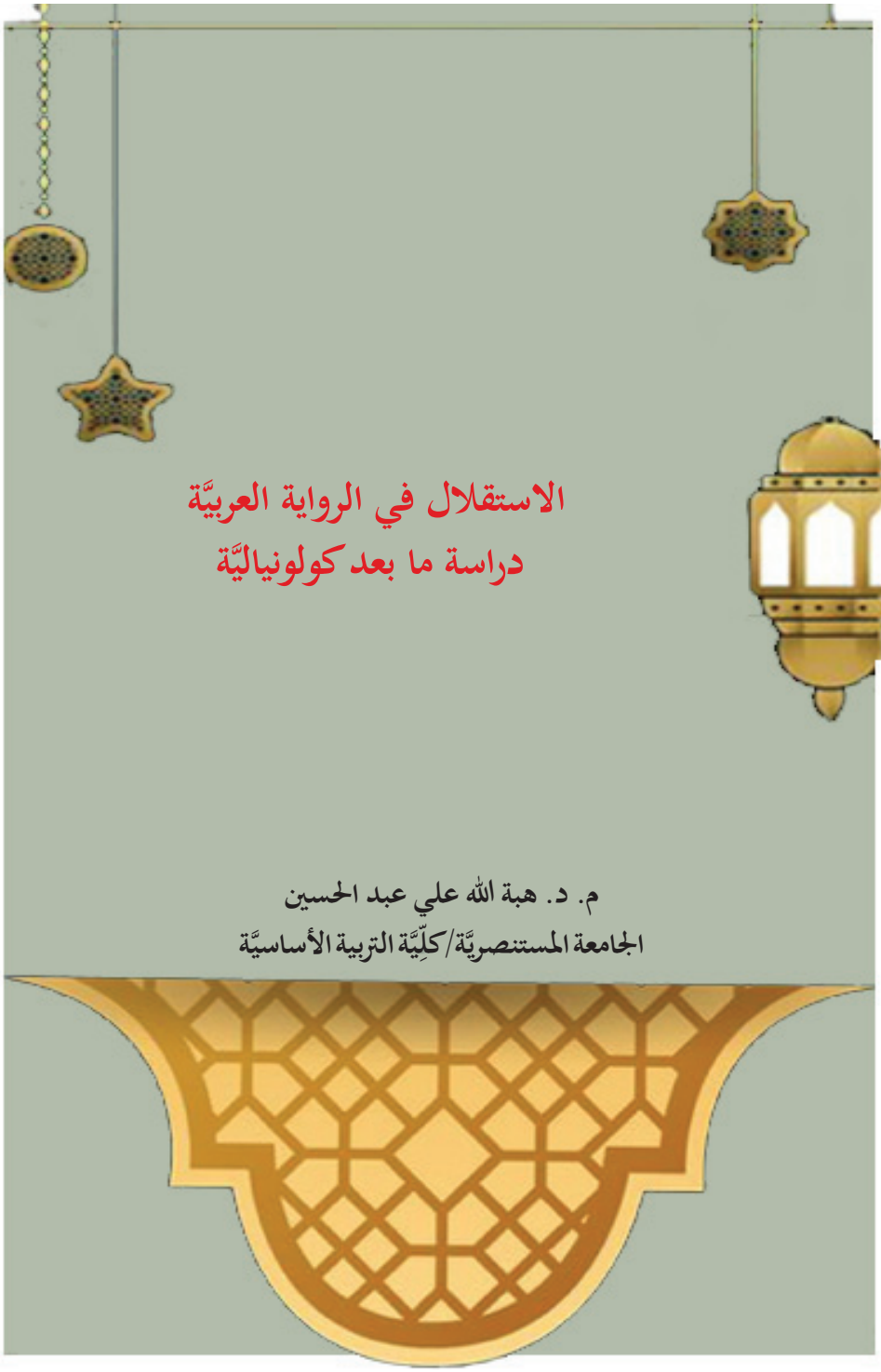

الاستقلال في الرواية العربيَّة
دراسة ما بعد كولونياليَّة

م. د. هبة الله علي عبد الحسين
الجامعة المستنصريَّة/كلِّيَّة التربية الأساسيَّة

المستخلص:

ينطلق البحث من فرضية أنَّ الاستقلال لا يقتصر على كونه حدثاً سياسيّاً، بل يتجاوز ذلك ليتمثَّل في بنية سردية، وخطاب ثقافي يعبِّر عن صراع طويل بين الهيمنة السياسية وبناء الهُويَّة الوطنية؛ إذ تكشف المقاربات النظرية عن لحظة الاستقلال بوصفها مرحلةً جديدةً تتَّخذ فيها السلطة أشكالاً مختلفةً للهيمنة، ويعاد فيها إنتاج الهامش داخل المجتمع نفسه. يأتي البحث ليبيِّن فهم العلاقة المركَّبة بين الاستقلال بوصفه حدثاً سياسياً وبين مقولة التابع بوصفها إحدى مقولات ما بعد الكولونياليَّة التي تركّز على الفئات المهمَّشة بعد خروج المستعمِر، ومن هذا المنطلق تتاح لنا قراءة الاستقلال بوصفه فضاءً تُنتجُ فيه العلاقات بين المركز والهامش والمتكلِّم والصامت. يسعى البحث إلى قراءة ثيمة الاستقلال في الرواية العربيَّة، وتحليلها وفق نظرية ما بعد الكولونياليَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: الاستقلال، ما بعد الكولونياليَّة، الرواية، التابع

Abstract:

This research begins with the premise that independence is not merely a political event, but rather a narrative structure and a cultural discourse that expresses a long-standing struggle between political hegemony and the construction of national identity. Theoretical approaches reveal the moment of independence as a new phase in which power takes on different forms of domination, and in which marginalization is reproduced within society itself. The research aims to elucidate the complex relationship between independence as a political event and the concept of the subaltern, a postcolonial construct that focuses on marginalized groups after the departure of the colonizer. From this perspective, we can read independence as a space where relationships are formed between center and periphery, speaker and silent. The research seeks to read and analyze the theme of independence in the Arabic novel according to postcolonial theory.

Keywords: Independence, Postcolonialism, Novel, Subaltern

مهاد نظري: جدليَّة الاستقلال والتبعيَّة

تعدُّ دراسات التابع تجربةً رائدةً في دراسات ما بعد الكولونياليَّة؛ إذ أعادت توجيه التاريخ من خلال نقد التواريخ القوميَّة التي صوَّرت الزعماء القوميين دعاةً للحداثة البرجوازيَّة استناداً إلى وجود أدوات ديمقراطية، غير أنَّ الواقع الفعلي هيمنت فيه علاقات السيطرة والإخضاع (١)، فالكتابة التاريخيَّة ما بعد الكولونياليَّة هي تاريخ للشعوب التي همَّشتها الشعوب المستعمِرة كأميركا اللاتينية والهند وإفريقيا وغيرها من الشعوب التي خضعت للاستعمار، لذلك وجدت أوروبَّا نفسها مجبرةً على خوض حروب التحرير التي شنَّتها المستعمرات في مختلف البلدان الإفريقيَّة والآسيويَّة والأمريكيَّة، مِمَّا أدَّى بها إلى التنازل ومنح الاستقلال لمجموعةٍ من البلدان، منها الهند وإفريقيا والجزائر؛ إذ بعد أن كانت الكتابات الأوروبيَّة تشير إلى تكوين الدولة الوطنيَّة والتنمية الاقتصاديَّة ودمج المستعمرات في الرأسماليَّة العالميَّة؛ أصبح العكس من خلال تقديم دراسات البلدان المستقلَّة عن الكولونياليَّة وسياستها؛ لغرض مواجهة المدِّ الكولونيالي، الذي حتَّى وإن انتهى سياسياً فهو

ما زال حاضراً اقتصادياً وثقافياً (٢). لذلك؛ تُصنع الثورات قصدياً عبرَ أناسٍ يسعون بشكلٍ واعٍ إلى تغيير عالمهم وغالباً عالم الآخرين من بلدهم، على الرغم من نتائج وظروف غير مرغوبة، فقد تكون سيطرتهم محدودة نوعاً ما إذا لم تكن مفقودة؛ إذ هم يسعون لصنع تاريخهم من خلال المقاومة والتمرُّد أو الثورة والنضال من أجل الاستقلال.(٣). وتعدُّ هذه المقاومة مهمَّتها الأساس إزاحة المركزيَّة الأوروبيَّة؛ ففي عام ١٩١٤ سيطرت القوى الأوروبيَّة على نسبة ٨٥٪ تقريباً من الكرة الأرضية بصورة مستعمرات، ومحمِيَّات، ودول تابعة، ومقاطعات محكومة، لذا نادت ما بعد الكولونياليَّة بصنع تاريخ مهمٍّ هُويَّتها المركزيَّة (٤)، وأنَّهم قادرون على تحدِّي القمع الذي نزل بهم، وأنَّ هذه القدرة أبعد ما تكون عن الشموليَّة وهدفها إعادة اكتشاف الذات التابعة والتشديد على إبداعها في مقاومة الهيمنة وتفكيك الكولونياليَّة بأبشع صورها؛ إذ يقتضي التحرُّر والاعتراف بالاستقلال إنتاج خطاب تبريري مبنيٍّ على إعادة اكتشاف الذات التابعة وتحقّق إمكانيّتها وقدرتها على منح نفسها تعليلًا في صورة ما في التاريخ (٥).

المحور الأوَّل: الاستقلال بين المعنى السياسيِّ والتمثُّل الثقافيّ

يشير مفهوم الاستقلال إلى حصول بلدان معيَّنة على سلطتها وسيادتها الخاصَّة بعد خروج المحتلّ، سواء كان بالاتفاق مع المحتلِّ أو بالمقاومة والثورة، فلا يمكن الاعتراف بشرعيَّة الدولة وبنائها من دون استقلالها؛ إذ يُعدُّ الاستقلال شرطاً من شروط إقامة الدولة، فـ"الدولة هي الهيأة المعترف– عادةً– بأنَّها وحدة ذات حقٍّ قانوني في استخدام القوَّة" (٦). ويعدُّ القانون الذي يعبّرُ عن إرادة الدولة ذات السيادة قانوناً عادلاً، ولأنَّ الدولة لا تعمل إلَّا من خلال أفراد الشعب الذين يشكّلون الهيأة ويُطلق عليها اسم الحكومة فيصبح التحكُّم في العلاقات القانونيَّة الدوليَّة من خلال هؤلاء الأشخاص الذين يمتلكون الحقَّ الرسمي في ممارسة سيادة السلطة، ومن ثمَّ يسعون إلى تغيير العمليَّات الاقتصاديَّة والإنتاجيَّة التي تعدُّ أهمَّ الأمور لنجاح النظريَّة السياسة، ومن ثم نيل الاستقلال بشكل تامٍّ سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ويمكن تحقيق ذلك بامتلاك سلطة الدولة، سواء كان ذلك بالطريقة السلميَّة المتَّفق عليها أم باستخدام العنف والحرب والثورة على المحتلِّ للاستيلاء على الحكم الذي يوفِّرُ سلطة السيادة (٧). ونذكر مثالاً عن حقِّ تقرير المصير؛ إذ تعدُّ دول البلطيق (ليتوانيا ولاتفيا وايستونيا) أحدث ثلاث مستعمرات في العالم التي حصلت على استقلالها السيادي بعد ثورة روسيا ١٩١٧، وأعلنت الاستقلال على أساس الإعلان الذي صدر في تشرين الثاني عام ١٩١٧ عن الحكومة السوفييتيَّة الذي نصَّ على أنَّ "من حقِّ روسيا أن تقرِّر مصيرها بحرِّيَّة حتى وإنْ اختارت الانفصال وإقامة دول مستقلَّة" (٨).

رسمت الشعوب المستعمَرة العربيَّة مصيرها بنفسها من خلال كلِّ حركة وثورة أشعلها المضطهَدون وقادوها حتى اعتُرِفَ بوجودهم الوطني واعتُرِفَ بهم دولاً مستقلَّة، فنضال هذه الشعوب من أجل استعادة كرامتهم واستعادة هُويَّتهم وتحرّرهم من التبعيَّة، والوسيلة الوحيدة للوصول إلى الاستقلال هي الإرادة الحرَّة في الردِّ على الاستعمار، فكان على الشعوب المستعمَرة الإفريقيَّة والجزائريَّة والمغربيَّة وغيرها أن تستعجل لبناء ذاتها والتعبير عن نفسها من خلال تحطيم الاستعمار (٩). في حين أنَّ الاستعمار لا يترك الشعوب تقرِّر مصيرها، فيلجأ إلى البحث عن أسلوب جديد وصورة مغايرة للاستعمار التقليدي، فمثلاً يخلق ممثلين ومصفّقين يتقنون تمويه الشعوب، ففي الجزائر كان الصراع دائمًا بين الجزائريين والفرنسيين في أشد ثورة ومقاومة، وفي تونس كان المستعمِرُ يحاول خمد حرب الجزائر وتهدئتها، وفي مراكش ثورات يعمل المستمِر (فرنسا) على إثارة الفتن بين المواطنين لكي يفشل الثورة والمقاومة، فظهرَ حينئذٍ ساسة وقادة وزعماء، منهم (الشيخ عبد الحميد بن باديس) الذي أسَّس المدارس ونشر التعليم في الجزائر؛ إذ يرى أنَّ نيل الاستقلال يبدأ من العلم. فضلًا عن الأمير عبد القادر الذي يعدُّ رائد المقاومة الجزائريَّة والمنظِّم للوحدة الوطنيَّة في المغرب العربي. وكذلك عبد الكريم الخطابي الذي قاد كثيرًا من الحركات الوطنيَّة، ومنها ثورة ١٩٢٣ التي دامت أربعة أعوام وانتصر فيها على المستعمر الفرنسي، وفي الوقت نفسه تمنح بريطانيا الاستقلال للهند وباكستان، وهولندا توافق على منح إندونيسيا الحكم الذاتي، وأميركا

تمنح جزر الفيلبين سيادتها التامَّة، في حين أنَّ فرنسا غارقة في سباق هدفه القضاء على شعوب إفريقيا(١٠)؛ إذ كانت صور الاستقلال في البلدان المستعمَرة من دول أوروبَّا حافزاً للمغرب العربي في نضاله والمطالبة في استقلاله من المستعمِر الفرنسي.

يمثِّل الفنُّ الروائي في نصوصه سوسيولوجيا الحياة، وطبيعة المجتمع وحركته في جميع تفاصيله؛ إذ يرتبط بحركة المجتمع والحراك الناجم بين شخوصه والقضايا والإشكاليَّات التي يثيرها؛ إذ وظّفت الرواية الاستقلال بوصفِهِ ثيمةً روائيَّةً غير مقصودة لذاتها؛ لأنَّ قصديَّتها يعطيها سمة الهيمنة على النصِّ الروائي، ومن ثَمَّ يكون السرد يدور حول الثيمة وبما يخدمها من كلِّ النواحي، في حين أنَّ الاستقلال لم نجده في الروايات ما بعد الكولولونياليَّة موضوعاً مستقلاً بذاته، إنَّما مع الروايات التي تتناول ثيمة الحرب أو الاستعمار أو العنف وغيرها من الموضوعات التي لها صلة وثيقة مع حدث الاستقلال، فالتركيز على صور الموت والخراب والفضلات والعفن والتحلّل ومقالب القمامة وشعور الصدمة وخيبة الأمل، وقد حفلت الرواية الإفريقيَّة إبَّان الاحتلال والاستقلال بمثل هذه الصور؛ بغية الإحساس بخلل الواقع كما تقول رضوى عاشور (١١). في سياق الرواية الإفريقيَّة، نذكر رواية (شمس نصف صفراء) للروائيَّة النيجيرية تشيماندا نجوزي آديتشي، التي يقع جانب من أحداثها في أثناء الحرب الأهليَّة النيجيريَّة – البيافريَّة، التي تُعرف عالميًّا بحرب بيافرا، وهي نزاعٌ أهليٌّ استمرَّ من ١٩٦٧ حتَّى ١٩٧٠ راح ضحيَّته أكثر من مليون روح بشريَّة في محاولة ولايات الجنوب الشرقي النيجري الاستقلال عن الدولة الاتحادية، وإعلان جمهوريَّة بيافرا التي اتَّخذت من رمز نصف شمس صفراء علماً لها، وهو يمثِّل عنوان الرواية. ترصد الرواية المتغيّرات السياسيَّة والمذابح والمجازر من وجهة نظر إنسانيَّة بطلها خادمٌ أسودُ صغيرٌ يُدعى آجوو، يروي الحرب في مذكَّراته ويتفحَّص عالمها بعينيه الصغيرتين، تمتاز الرواية بتركيزها على الكتابة ما بعد الحداثيَّة في العلاقة بين الأسود والأبيض؛ إذ اعتمدت على الدرجات الرماديَّة بينهما، فجعلت أبطالها يرتكبون خطايا عابرة، والأشرار يأتون أفعالاً نبيلةً (١٢).

المحور الثاني: تمثُّلات الاستقلال في الرواية العربيَّة مقاربة ما بعد كولونياليَّة

تعاملت الرواية العربيَّة مع الاستقلال بوصفه حدثاً مهمّاً للتطوُّرات التي حدثت مع المجتمع على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فضلاً عن إثارته سؤال الهُويَّة واسترجاع الذات على المستوى الفردي والجماعي، ليشكِّل الاستقلالُ الحدَّ الفاصل بين الكولونياليَّة وما بعدها؛ لما له من أثرٍ في التحوُّلات الوطنيَّة والسياسيَّة التي نشأت لاحقًا، ومن هنا يثير التساؤل: متى كُتب نصُّ الاستقلال؟ وما القضايا التي يثيرها نصُّ الاستقلال؟

يصوِّر الراوي في رواية (بين القصرين) لنجيب محفوظ الحوار الذي حدثَ بين شخصيَّات الرواية فهمي وياسين، إذ يقول:

" فقال فهمي باهتمام شديد:

– ذاع بين الطلبة نبأ عجيب كان حديثنا اليوم كله وهو أنَّ وفداً مصرياً مكوّناً من سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمي بك وعلي شعراوي باشا توجّه أمس إلى دار الحمية وقابل نائب الملك للمطالبة برفع الحماية وإعلان الاستقلال ...

– بدأ ياسين جاداً أن يظن به الآخر استهانة بحماسه وردَّد قائلاً وكأنَّه يسائل نفسه:

– المطالبة برفع الحماية وإعلان الاستقلال!

– وسمعنا أيضاً أنَّهم طالبوا بالسفر إلى لندن للسعي إلى الاستقلال وأنَّهم لهذا القصد قابلوا نائب الملك (ريجنالد ونجت)...

– الاستقلال!.. أتعني هذا حقاً؟ .. ماذا تعني؟

– فقال فهمي بلهجة عصبية:

– أعني إخراج الإنجليز من مصر" (١٣)

يكشف النصُّ عن كفاح الشعب المصري ضد الاستعمار البريطاني وكيف نجحت إرادة الشعب المصري في نيل الاستقلال، ويظهر إحدى صوره، ألا وهي التفاوض والمطالبة عن طريق قادة ثورة ١٩١٩م، إذ يبين قدرة الذات المصرية

في الاندماج مع الآخر البريطاني، لكي يتحقق الاعتراف بالدولة (مصر) فالعلاقات بين الدول تتمحور حول السيادة والتمسك بالقوانين الخاصَّة لكلٍّ منهما، ممَّا يؤدّي إلى نشوء الحرب، فالصراع مع الآخر لكي يثبت وجوده ولو باستخدام القوَّة التي تمنح السلطة، ومن يملك الأخيرة يملك حقَّ التصرُّف في ممتلكات الآخرين وأرواحهم وهذا ما يبرزه التاريخ السياسي لسعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي، الذين يشكِّلون وفداً للمطالبة بالسلطة وحقِّ تقرير المصير في نيل الاستقلال والتحرُّر من الفكرة التي نادى بها الاستعمار (العبد والسيّد). وفي السياق نفسه، تكشف رواية (في بيتنا رجل) لإحسان عبد القدوس مكافحة الشعب المصري في نيل الاستقلال؛ إذ تتحدَّث الرواية عن بحث المجتمع العربي وسعيه في أثناء الاستعمار لنيل حريَّته واستقلاله، وتتلخَّص أحداث الرواية حول الشخصيَّة إبراهيم حمدي الذي حارب الاستعمار وقاد مجموعةً من طلبة الجامعة للخروج إلى المظاهرة والمطالبة بحريَّتهم وكشف زيف العملاء الذين جنَّدهم المستعمر البريطاني للاستيلاء على أرضهم والتحكُّم في ممتلكاتهم وأرواحهم؛ إذ يصف الراوي الخارجي مقاومة إبراهيم للاستعمار فيقول الراوي:

"إنَّه يريد أن يؤدّي عملاً وطنياً إيجابياً يثير الناس وينبّههم ويكتلهم ويفتح أبواب معركة يخوضونها جميعاً..

كيف استطاع الإنجليز أن يضغطوا على الناس كل هذا الضغط وأن يتمكَّنوا من قلب مصر إلى حدٍّ لم يعد يجدي معه قتل أفراد من جنودهم؟

ليس الجنود الإنجليز هم الذين يفرضون الرقابة.. وليسوا هم الذين يتولون تنفيذ الأحكام العرفية ... إنَّها سياسة متفق عليها بل سياسة يفرضونها.. ومن الذين يقومون بتطبيق هذه السياسة.. سياسة الاحتلال البريطاني؟

إنَّهم العملاء.. الخونة! ...

لماذا الاستقلال؟

لأنَّه يؤمن بحقِّ وطنه في الحرِّيَّة، والدستور، ورفع الأحكام العرفيّة كل هذه مطالب تهدف إلى تحقيق الحرِّيَّة..

ومن الذي اغتصب حريَّته.. حريَّة وطنه؟

إنَّهم الإنجليز!" (١٤)

يكشف النصُّ البعد القومي الوطني للشخصيَّة إبراهيم حمدي بوصفه رمزاً للبطل الوطني الذي يكافح للتخلُّص من الاستعمار وتبعيته، فضلا عن ذلك فإن إبراهيم من الطبقة الوسطى في المجتمع وعادة ما تتحلى هذه الطبقة بالأفكار والمبادئ والقيم التي تنبذ التحالف بين الكولونيالية والإقطاع والرأسمالية الكبيرة، إذ جسد لنا احسان عبد القدوس الطبقة الوسطى من المجتمع المصري خلال السنوات العشر السابقة على ثورة يوليو عام ١٩٥٢ التي قضت على الاستعمار، وأعلن حرّيَّة المجتمع العربي واستقلاله والتخلُّص من هيمنة الحكم الملكي وسيطرته. ومن الجدير بالذكر أنَّ الرواية ركَّزت على النخبة المثقَّفة من الطبقة الوسطى، وتبحث عن أزمة الوجود والقيم والضمير الإنساني الفكري عند مثقَّفي الثورة الوطنية الديمقراطية الذين يمتلكون معرفةً وعلمًا كافياً للنهوض واسترجاع الذات، وإثبات الهُويَّة الوطنية. لا تختلف الرواية الجزائرية عن هذه الحقيقة، فالحقل الثقافي الذي أُسِّسَ بعد الاستقلال قصد إعادة كتابة التاريخ وتصوير الثورة والتحرير؛ إذ كتب الطاهر وطار بعد الاستقلال روايته (اللاز) التي جسَّدت إعادة قراءة التاريخ بوصفها رداً على الاستعمار واستعادة الذات وإثبات الهُويَّة الوطنية، فضلاً عن تحليل الصراع بين المستعمَر والمستعمِر؛ إذ يصوّر الروائي رغبة العرب في إخراج المستعمِر من بلادهم فيقول اللاز:

الصح هو الحق ... وهذه البلاد ليس فيها حق، ولكن سيأتي يوم، ولا يبقى في الوادي إلَّا الحجارة، إلَّا الصح، إلَّا الحق.

يخرج الفرنسيون، يفقر الأغنياء وينعدمون، ينام جميع الناس على الشبع نقرأكلنا. نتعلَّم العربية والرومية، بما فيها الإنجليزية والألمانيةوالروسية.

يصبح الحاكم من عندنا... الشامبيط والخوجة والقائد، والشرطي منَّا... نصير فاهمين، نظيفين، جميلين، محترمين كالفرنسيين.

لسنا وحدنا نطمح لكلِّ هذا... هناك أيضاً المصريون، والتونسيون، والمغاربة، وحتى الكفار أيضاً... فيهم من يعاني مثل وضعنا، ففي الهند الصينية أناس مثلنا، ولو أنَّ دينهم يختلف عن ديننا... كان يحكمهم الفرنسيون فثاروا عليهم وغلبوهم، وهربت فرنسا منهزمة"(١٥).

يكشف النصُّ عن رغبة اللاز وحمو الذين يشكِّلون صورة المجتمع في التحرُّر وكتابة تاريخهم، فضلاً عن الرغبة في خلق هُويَّة وطنيَّة وصناعيَّة لهم تنافس الهُويَّة الفرنسية؛ إذ يعدُّ بناء دولة تحت ظلِّ الاستعمار أمراً في غاية الصعوبة؛ لذا كان الاستقلال حلماً للمجتمع الجزائري، فيوضّح ذلك الحوار بين الشخصية زيدان وحمو: "إلا أن إخراج الفرنسيين أمر مستبعد جداً... هم أقوياء، ونحن ضعفاء... ما يهزمني أكثر هو الهند الصينية ... هذه البلاد كانت مثل بلادنا، وأهلها كانوا مثلنا، والفرنسيون كانوا عندهم بالصفة التي هم بها عندنا... ومع ذلك خرجوا. ومع ذلك انهزموا" (١٦).

يبيّن النصُّ ارتباط مرحلة التحرُّر الوطني بالثقافة الوطنيَّة والنهوض بها من خلال مواجهة محاولات المستعمر الفرنسي في الطمس والتشويه الذي رافقها، فالاستعمار كما يصفه (أميلكار كابرال) زعيم حركة التحرر في غينيا "بأنَّه نفي للمسار التاريخي للشعب المستعمَر بإيقاف تطوّر قواه الإنتاجية، في حين أنَّ ثقافة الشعب التي تعكس واقعه المادي والفكري هي ثمرة تاريخية بقدر ما هي عامل يحدّد مسار هذا التأريخ، إذ تعدّ حركة التحرّر الوطني تعبيراً سياسياً منظّماً عن ثقافة الشعب المناضل، لذا يجب على من يقودون هذه الحركة أن يكون لديهم فكرة عن قيمة الثقافة في إطار الثورة والنضال" (١٧).

يعدُّ إقناع حمو زيدان بالنهوض وطرح مثال استقلال الهند الصينية ضرورياً في استعادة الثقة بالذات، وإعادة كتابة تاريخها من خلال إسهامها في تحديد شكل الحاضر والمستقبل بعد نيلهم الاستقلال، فالقائد يسهم في بناء صرح حضاري لوطنه؛ إذ يرتكز حلم شخصيَّة اللاز على تغيير الأوضاع السياسيَّة والأيديولوجيَّة التي سيطرت على شخصيَّة زيدان المستسلمة للاستعمار، وتدلُّ العبارة التي يردِّدها حمو واللاز (ما يبقى غير الحجارة في الوادي) على رؤيته للموقف الأيديولوجي في نيل الاستقلال الذي يحقِّق الحرِّيَّة والعدالة الاجتماعيَّة والرفاهية بحسب رؤيته.

وفي رواية (البيت الأندلسي) للروائي واسيني الأعرج التي تتحدَّث عن شخصية سيد أحمد بن الخليل التي تهاجر قسراً من غرناطة إلى الجزائر في القرن السادس عشر، فينشأ هذا البيت بمعالم أندلسية في الجزائر، ليمرَّ البيت بجملة من التحولات؛ إذ يستغلُّه الفرنسيون خلال فترة الاستعمار ليكون بلدية، ثم مكان إقامة نابليون الثالث وزوجته، ولم يتبقَّ من الإرث الأندلسي سوى ما هو هامشي، ليصبح بعد استقلال الجزائر لمراد باسطا الذي يعدُّ أوَّل رئيس جمهورية بعد الاستقلال، وقد أعاد ترميم ما هدمه الفرنسيون بناءً على وصيَّة جونار في الحفاظ على معالم البيت. وعلى الرغم من نيل الجزائر استقلالها فإنَّ حلم اللاز لم يتحقَّق في الرواية السابقة بالعيش برفاهية وحرِّيَّة؛ إذ تحوَّلت الجزائر إلى مجموعات متمرِّدة على الدولة الحاكمة، فيروي مراد باسطا الأحداث بعد الاستقلال بقوله: "كانت الجزائر المستقلَّة يومها تدشِّن عصراً جديداً، عصر القتل الغامض وزمن القتلة الصغار" (١٨).

يعمل الاستعمار عند خروجه على تفكيك الهُويَّة الوطنية، ممَّا يدسُّ بين الشعب المستقل من يحرّض على قيام الحرب الأهليَّة ورفض السياسة الجديدة، لذا وجدنا الجزائر قد شهدت عدَّة انقلابات حتَّى أصبح البيت الأندلسي مأوًى لكبار

المجرمين، ويعقد فيه الصفقات المشبوهة لتجارة المخدرات، ليُزال بعد ذلك البيت بالكامل، ويوضّح ذلك الحوار بين حفيد سيد أحمد والضابط الجبلي الذي يقول الحفيد:

"مباشرة بعد انقلاب ١٩٥٦ جاءنا ضابط كهل. وجه مغلق وثقافة جبلية جافة ... طلب أن يتحدَّث مع صاحب البيت قلت له تفضل.

– أريد أن أتحدَّث مع الصاحب الفعلي للبيت.

– خادمكم سيدي. أنا هو الصاحب الفعلي لهذا البيت.

– أنت فرنسي؟

– لست فرنسياً. هذا بيت أجدادي قبل الفرنسيين وحتى الأتراك. بناه جدي سيد أحمد بن خليل لزوجته لالة سلطانة بلاثيوس.

– شوف نحن لا نعرف بعضنا. اسمي قدور جاب الخير، ما نحبش اللي يستغبيني... صحيح أني جبلي ولست حضرياً، لكن هذا لا يمنعني من القول إن هذا البيت كان داراً للهوى في زمن الاستعمار ولم يكن سكناً.

– لا يا سيدي. كان بيتاً للموسيقى الأندلسية.

– كيف كيف؟ أين الاختلاف. كان يفترض أن يُغلق بعد الاستقلال لأنَّه مكانٌ للدعارة" (١٩)

يمكن أن يُعدَّ البيت الأندلسي دلالةً على الوطن العربي متمثّلاً بالجزائر؛ إذ يمثِّل استعارة لما يحدث للوطن العربي من انقسامات وهدم ومحو الوجود الهُويَّاتي من الاستعمار، فضلاً عن انهيار المستوى الاقتصادي، فالطبقة المهيمنة قاعدة ماديَّة في التحكُّم بالقوى الثقافيَّة والفكريَّة لصالحها والتأثير فيها، لذا كان عدم الحفاظ على الإرث العمراني في الجزائر لصالح فرنسا؛ لأنَّ ثقافة المجتمع الجزائري وقيمه تلاشتْ وتشتَّتتْ، فخلق بذلك المستعمر الفرنسي شعباً مفكّكاً يكون بحاجة له دائماً ليهمين هو بطريقة أخرى.

ركَّزت رواية جيل الظمأ لمحمد عزيز الحبابي على قضيَّة أخرى لازمت الشعوب العربية بعد الاستقلال ولا سيَّما المغرب العربي، ألا وهي قضيَّة الثقافة وانحلالها وكيفيَّة تعامل المجتمع مع المثقَّفين بوصفهم النخبة التي كان لا بدَّ لها من مقاومة الاستعمار؛ إذ يقول الراوي على لسان إدريس: "الجهاد لا تسجِّله صفحات التاريخ إلَّا إذا صدر عن وعي ونزاهة وإخلاص. ومن هنا ينطلق عمل المثقَّفين وجهدهم: التوضيح، الإفهام، التوعية" (٢٠)؛ إذ يعدُّ التعاون الثقافي من سياسة الاستعمار في خلق التبعيَّة له حتى بعد استقلال البلد المحتلّ، ففي الثقافة لم تكن سياسة الاستغلال واضحةً كما في الصناعة أو الزراعة مثلاً؛ لأنَّ التعليم لا ينتج قيمة للكلمة بالمعنى الاقتصادي، فضلاً عن أنَّ التعليم ينتج تقليد الأساتذة للمستعمِر، والفرنسيين بشكلٍ خاصّ، ممَّا يجعل توجيهات التبعيَّة الواضحة لا تخضع للمقاومة (٢١). تعكس الرواية صراع طبقات المجتمع منذ بدء الاستقلال، وتطرح في حوار طويل بين إدريس وعظيم إشكاليَّةَ الثقافة المزيَّفة المتبعة بقوله: "فما أكثر عدد المثقَّفين بالعالم الذين انتهجوا سبل العجرفة والاستعلاء فظنُّوا، على خطأ، بأنَّهم القطب الذي يدور حوله عمران وحضارة الأمم... ومن ثم ظنَّ بعض المثقَّفين المغاربة بأنَّهم كواكب متألّقة في بلدهم" (٢٢).

يوضّح النصُّ تفسير منهجي بصدد الثقافة في عهد الاستقلال، واكتشاف العالم الجديد بعد الغزو، من خلال الكشف عن أساليب مثقَّفي الغرب وتفكيرهم، في حين أنَّه كان من الممكن أن يخفق أصحاب الثقافة المزيّفة في مشاريعهم المتبعة، ومن ثَمَّ سينتج لنا مجتمعاً مستقلاً في الظاهر لكنَّه تابع للاستعمار في باطن الأمر ومهيمن عليه بصورة خفيّة، وهذا يمكن أن نطلق عليه وهم الاستقلال، فالمقصود هنا هو معرفة الكيفيَّة التي تنظّم بها ثقافة معيَّنة في لحظة معيَّنة تعقد الأشياء غير

المتناهي وبناء على أيَّة هُويَّات أو تشابهات نظمت، فالاستعمار يشتغل في هذا الصدد على قضايا معقَّدة وحسَّاسة نوعًا ما ألا وهي قضيَّة الهُويَّة والانتماء ومدى تماسك هذه القضايا، فلا يبرز النظام ألا من خلال إظهار التشابه والاختلاف بين البلدين ممَّا يجعل الذات تتبع الآخر تلقائيًّا (٢٣). فيوظّف ذلك الروائي عبد الحميد هدوقة في روايته (ريح الجنوب) في حوارٍ جرى بين الراعي رابح والرجل في المقهى حينما سأله أحد سكَّان القرية عن رعي الغنم فيقول الراوي:

"فأردف الرجل سائلا:

– وماذا تنوي أن تعمل؟»

فقال:

– لست أدري، سوف أرى.

فقال الرجل في نصح:

– كان من حقك أن تفكر فيما تعمله قبل أن تبطل. إنك لا تستطيع أن تجد أي عمل هنا.

فأجاب رابح بدون أن يشعر:

– إن لم أجد هنا عملا فأذهب إلى فرنسا.

فقال في ابتسام ينمُّ عن السخرية:

فرنسا.. أو تظن أنَّ العمل في فرنسا سهل؟ إنَّك مخطئ يا بني. لو رأيت أنا ذلك ممكنًا لما بقيت هكذا كلَّ يوم مع شرك الحلفاء... إنَّ القوانين تغيَّرت، كانوا في الماضي يكرهوننا، أما بعد الاستقلال فصاروا يودون لنا الفناء، فرنسا لم يعد لنا فيها مجال للعمل" (٢٤).

يوضِّح النصُّ واقع الجزائر بعد الاستقلال من خلال شخصيَّة الراعي الذي يعيش في القرية؛ إذ يرمز خطاب الراعي إلى وهم الاستقلال وشتات الانتماء الهُويَّاتي، فالذات المستقلَّة انقسمت على متضادَّتين: فالرجل يمثِّل الوعي بهيمنة الاستعمار ونتائجه حتى وإنْ تحرَّروا منه، في حين ذات الراعي تمثِّلُ التبعيَّة للمستعمر (فرنسا)، فيراه المركز، ويرى نفسه تابعاً مهمَّشاً، فالذات هنا لا تستطيع أن تصنع معنًى لنفسها؛ لأنَّ في فترة الاستعمار بدأ هناك معنيان متميّزان: الفرنسي (الغربي) والعربي (الإسلامي) يشكِّلان رؤية المستعمَر لنفسه وللآخر، وكان عليه أن يستخرج منهما معنى يمكن أن يتعرَّف عليه.

"فقال رابح في سذاجة:

آلاف الجزائريين يعملون في فرنسا .. من قريتنا فقط ذهب أكثر من مائة شخص.

فأجاب الرجل:

ذهبوا ... ولكن متى؟ أكثرهم كانوا هناك قبل الاستقلال.

قلت لك إن القوانين تغيرت.

فتساءل رابح في سذاجته البريئة

– «أي القوانين ؟ ...»

فأجاب الرجل:

– أي القوانين؟ كل القوانين.. كل دولة لها قوانينها. في الماضي مثلا كانت عملتنا الفرنك والآن صار لنا الدينار عملة الدول تتغير والقوانين كذلك.

لم يكن من السهل على رابح أن يواصل الحديث مع الرجل... الفرنك.. الدينار... الدول والقوانين... مسائل لم يصل بعد خياله إلى تصورها. وكان يعتقد أن محدثه يعرف الكثير من هذه المسائل المعقدة ولذلك بدا له أن يغير مجرى الحديث فقال: إذا لم أستطع أن أذهب إلى فرنسا فسأبحث عن عمل هنا بالجزائر، بالجزائر!... تبحث عن عمل بالجزائر.. العمل الوحيد الذي تجده بالجزائر هو ذاك الذي تركته يا بني. لو فكرت لبقيت في مكانك حتى تتيسر الأمور" (٢٥).

يبيّن النصُّ الاستمرار في التبعيَّة الاقتصاديةً للكولونياليَّة من خلال هجرة الجزائريين للعمل في فرنسا بعد الاستقلال؛ إذ يمكن أن نطلق على هذه الظاهرة مصطلح (الكولونياليَّة الجديدة) التي تُبقي البنى الاقتصاديَّة للدولة المستقلَّة (الجزائر) مرتبطةً بمركزيَّة المحتلّ (فرنسا)، فيعكس الحوار صراعاً بين الذاكرة والواقع الجديد من خلال وعي الرجل بالتغييرات القانونيَّة والاقتصاديَّة، مثل تغيير العملة من الفرنك إلى الدينار مقابل سذاجة رابح وجهله بالقوانين، مِمَّا يدلُّ على طبقيَّة المجتمع بعد الاستقلال، وأنَّ بناء الدولة لم يصل إلى المناطق الريفيَّة. فضلاً عن ذلك، يكشف خطاب الرجل لرابح بخصوص العمل الوحيد الذي تجده في الجزائر عن عدم استقرار المجتمع وإخفاق الدولة في توفير فرص عمل مستقلَّة عن المحتلّ، وتحسين الاقتصاد، وهذا ما أشار إليه فرانز فانون في نقد البرجوازيَّة الوطنيَّة التي تحلُّ محلَّ الاستعمار، وتصبح أشبه بطبقة متحكّمة ومستغلّة لفئات المجتمع المهمّشة.

خاتمة البحث ونتائجه

ختاماً، يُناقَشُ الاستقلالُ في الرواية العربيَّة من خلال نظريَّة ما بعد الكولونياليَّة، التركيزَ على كيف تعكس النصوص الأدبيَّة التحدّيات التي واجهتها المجتمعات العربيَّة بعد التحرُّر من الاستعمار. فيكشف عن عدَّة نتائج، منها:

– استمرار التبعيَّة الاقتصاديَّة الذي تمثَّل في رواية ريح الجنوب من خلال تغيير العملة من الفرنك إلى الدينار بوصفِهِ رمزاً للقطيعة مع الماضي، لكن مع استمرار الاعتماد على المراكز الاستعماريَّة.

– استمرار أزمة الهُويَّة بوصفِهِ صراعَ الذات بين التراث المحلّي والقيم المستوردة، كما في حوارات شخصيَّة "رابح" في (ريح الجنوب).

– تفشّي الفساد وغياب العدالة الاجتماعية، كما في رواية (جيل الظمأ) لمحمد عزيز الحبابي التي تناقش انفصال المثقّفين عن هموم الشعب.

– تكشف الرواية العربيَّة أنَّ الاستقلال السياسي لم يكن نهاية المطاف، بل بداية لمعارك أكثر تعقيداً لبناء الهُويَّة والاقتصاد والعدالة. فبينما نجحت هذه النصوص في توثيق لحظة التحرّر من الاستعمار، فإنَّها أيضًا تعرّي التناقضات التي أعقبتها:

– التبعيَّة الخفيَّة: عبر الحفاظ على هياكل القوَّة الاقتصاديَّة والثقافيَّة الاستعماريَّة.

– الصراع الطبقي: بين النخب الجديدة التي حلّت محلَّ المستعمر والجماهير المهمشة.

– أزمة الهجنة: حيث تُجبر الذات المستعمَرة على التعايش مع بقايا الماضي الاستعماري ورموز الحاضر الوطني.

الهوامش:

(١) ينظر: التاريخ من أسفل، خالد اليعقوبي، خالد طحطح، ١٢٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١٤٤.
(٣) ينظر: الثورة والتمرد والمقاومة، قوة الحكاية، إيريك سيلبين، تر: أسامة الغزولي، ١٢٩– ١٣٠.
(٤) ينظر: سياسة ما بعد الحداثية، ليندا هتشيون، تر: د.حيدر حاج إسماعيل، ٣٤٢.
(٥) ينظر: ما بعد الاستعمار، أفريقيا والبحث عن الهوية المسلوبة، أشيل مبيمبي، تر: أمين الأيوبي، ٣٧.
(٦) الدولة نظرياً وعلمياً، هارولد لاسكي، ٤٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه، ١١٨.

(٨) الإمبراطورية الأخيرة، روبرت كونكويست، تر: لجنة الترجمة في دار الشرق الجديد، ١١٠.
(٩) ينظر: لأجل الثورة الأفريقية، فرانز فانون، ١٦٢.
(١٠) ينظر: ثورات المغرب العربي وكفاحه، عبد الحميد مسعود الجزائري، ٢٧-٣٤.
(١١) ينظر: التابع ينهض، الرواية في غرب أفريقيا، رضوى عاشور، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت،د.ت: ١١٩-١٢٠.
(١٢) ينظر : شمس نصف صفراء، تشيما ماندا نجوزي أديتشي ، ترجمة وتقديم فاطمة نعوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩: ٦-٧.
(١٣) بين القصرين، نجيب محفوظ، ٣٧١- ٣٧٢.
(١٤) في بيتنا رجل، احسان عبد القدوس، ١٤- ١٦.
(١٥) اللاز، الطاهر وطار، ٣٧.
(١٦) اللاز، ٣٨.
(١٧) ينظر: التحرر الوطني والثقافة، أميلكار كابرال، تر: منصور أبو القاسم، مجلة الثورة، فلسطين، ١٩٧٦.
(١٨) البيت الأندلسي، واسيني الأعرج، ٣٣٤.
(١٩) المصدر نفسه، ٣٣٦.
(٢٠) جيل الظمأ، ٢٥.
(٢١) ينظر: المساعدات الخارجية، التخلف، الاستعمار الجديد، إيف فوش، تر: عبد الله إسكندر، ٧٩.
(٢٢) جيل الظمأ، ١١١.
(٢٣) ينظر: الترجمة والثقافة، جان- لوي كوردونييه، ٦٩.
(٢٤) ريح الجنوب، عبد الحميد هدوقة، ١٣٤.
(٢٥) ريح الجنوب: ١٣٤.

المصادر والمراجع:

- التاريخ من أسفل، خالد اليعقوبي، خالد طحطح، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩.
- الثورة والتمرد والمقاومة، قوة الحكاية، إيريك سيلبين، تر: أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.
- سياسة ما بعد الحداثية، ليندا هتشيون، تر: د.حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- ما بعد الاستعمار، أفريقيا والبحث عن الهوية المسلوبة، أشيل مبيمبي، تر: أمين الأيوبي، مراجعة وتقديم، د. خالد قطب، دار الروافد الثقافية- ناشرون، بيروت، ٢٠٢٢.
- الدولة نظرياً وعلمياً، هارولد لاسكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢.
- الإمبراطورية الأخيرة، روبرت كونكويست، تر: لجنة الترجمة في دار الشرق الجديد، بيروت، د.ت.
- لأجل الثورة الأفريقية، فرانز فانون، تر: ماري طوق وديالا طوق، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠١.
- ثورات المغرب العربي وكفاحه، عبد الحميد مسعود الجزائري، دار الجامعة
- التابع ينهض، الرواية في غرب أفريقيا، رضوى عاشور، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت،د.ت: ١١٩-١٢٠.
- شمس نصف صفراء، تشيما ماندا نجوزي أديتشي ، ترجمة وتقديم فاطمة نعوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.
- بين القصرين، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.
- في بيتنا رجل، احسان عبد القدوس، مطبوعات أخبار اليوم قطاع الثقافة، القاهرة، د.ت.
- اللاز، الطاهر وطار، موفم للنشر- سور الأزبكية، الجزائر، ٢٠٠٧.
- التحرر الوطني والثقافة، أميلكار كابرال، تر: منصور أبو القاسم، مجلة الثورة، فلسطين، ١٩٧٦.
- البيت الأندلسي، واسيني الأعرج، منشورات دار الجمل، بيروت، ٢٠١٠.
- جيل الظمأ، محمد عزيز الحبابي، دار الشريف الأنصاري، بيروت، ١٩٨٤.
- المساعدات الخارجية، التخلف، الاستعمار الجديد، إيف فوش، تر: عبد الله إسكندر، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣.
- الترجمة والثقافة، جان- لوي كوردونييه، تر: زياد العوده، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٢٢.
- ريح الجنوب، عبد الحميد هدوقة، دار القصبة للنشر، الجزائر٢٠١٢.

Website address
White Dome Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN3005_5830
Deposit number
In the House of Books and Documents (1127)
For the year 2023
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb